European Journal of Humanities and Educational Advancements (EJHEA)
Available Online at: https://www.scholarzest.com
Vol. 6 No.07, July 2025
ISSN: 2660-5589

THE BEAUTY OF ARABIC IN EXPLAINING THE PRINCIPLES OF RELIGION (SURAT AL-JUMU'AH AS A MODEL) AND ITS ELOQUENCE IN SURAT AL-RA'D

Khalid Jamal Gaheb
khaldalansari80@uokirkuk.edu.iq
Department of Quranic Sciences / College of Education for Girls / University of Kirkuk / Iraq
Imran Jamal Hassan
President of Kirkuk University
Hawneaz Mustafa Rasheed
Department of Law / College of Law and Political Science /University of Kirkuk / Iraq
hawneazrasheed@gmail.com

Article history:
Received: 11th May 2025
Accepted: 10th June 2025

Abstract:

From the above, and after examining the beauty of Arabic and its role in articulating the fundamentals of religion, the eloquence of Arabic, and the foundation of faith, we arrive at the following -The Arabic language is the language of creativity and beauty, and the Holy Qur'an is the book that encompasses the most beautiful linguistic expressions at all levels

Qur'anic structures are filled with strength, sobriety, and expression. They capture diverse meanings and evoke multiple connotations

-Grammatical structures and forms contribute to giving Qur'anic structures their luster and beauty, given their ability to move within linguistic structures

-Context plays an important role in highlighting meanings and defining connotations, as vocabulary and structures are situated in multiple contexts, giving them strength and beauty

-Qur'anic structures play a role in achieving aesthetic support for the fundamentals of Islamic faith

Arabic rhetoric has cast its shadow over the Qur'anic text, and has achieved artistic imagery and rhetorical embellishments, in addition to moral phenomena, and has achieved beauty and enjoyment for the text through the different contexts in which it appears.

Keywords: Fundamentals of religion. Beauty in structures, diversity of attribution and its meanings,Beauty in structures, forms and their meanings,Beauty in contextual clues and their implications, Rhetoric of structures. Rhetoric of imagery.

INTRODUCTION:

The Arabic language is the language of the Holy Qur'an. It was in this language that the great book was revealed, and through it the teachings of Islam spread throughout the world. With it, Arabs and Muslims became one nation, speaking a language that unites them, tells their secrets, and informs them of their stories. This language of the Arabs, they continue to boast about and take pride in its ability to express what they desire through a system of vocabulary and structures that summarize the human, intellectual, and ideological experience of these Arabs, who are proud of their belonging to a great language, distinguished by the beauty of its harmonious elements, its vitality, its renewal, and its ability to leave an aesthetic impact on its recipients, who are capable of understanding and engaging with it. The Arabic language, as we know, is a rich language that represents a wealth of treasures for those who read it through the quantity of words, meanings, and connotations that arise between its main components. This language is a living language spoken by millions around the world, due to its strength, solidity, and sweetness at the same time. This is what makes standing at its greatness and beauty, standing at one of the components of the Arab existence. Without this language, Arab history would have lost an important part of its survival and continuity.

جمال العربية في بيان أصول الدين(سورة الجمعة أنموذجاً)و بلاغته في سورة الرعد

إنَّ اللغةَ العربيةَ لغة القرآن الكريم، بها نزل الكتاب العظيمُ، وبوساطتها انتشرت تعاليم الإسلام في أرجاء المعمورة، ومعها أصبح العرب والمسلون أمة واحدةً ينطقون لغةً توحدهم، وتحكي أسرارهم، وتنبئ عن أخبارهم، لغة العرب التي ما برحوا يتباهون بها، ويعتزون بقدرتها على التعبير عما يريدون عن طريق منظومة من المفردات، والتراكيب التي تلخص التجربة الإنسانية، والفكرية ، والعقائدية لهؤلاء العرب المعتزين بانتمائهم إلى لغة عظيمة، تتميز بالجمال في تناسق عناصرها، والحيوية، والتجدد، والقدرة على ترك الآثار الجمالية في متلقيها، بوصفه قادراً على فهمها، والتعامل معها.

واللغة العربية كما نعرف، لغة غنية تمثل للمطَّلع عليها ثروةً غنيةً من خلال كمية الألفاظ والمعاني، والدلالات التي تنشأ فيما بين مكوناتها الرئيسة، وهذه اللغة لغة حيَّة ينطق بها الملايين حول العالم، لما تتميز به من قوة، ورصانة، وعذوبة في الآن عينه، وهذا ما جعل الوقوف عند عظمتها، وجمالها، وقوفاً عند واحدة من مكونات الوجود العربي، فلولا هذه اللغةُ لكان التاريخ العربي قد فقد جزءاً مهماً من أجزاء بقائه واستمراره.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحثِ في محاولته استقصاء ملامح الجمال في اللغة العربية، ودورها في بيان أصول الدين، وكذلك في استجلاء الأبعاد الدلالية الكامنة وراءَ بنية التراكيب القرآنية، التي تخدم المعاني، وترسم ملامحها.

أهداف البحث:

يسعى البحثُ إلى قراءة متأنيةٍ في جماليات اللغة لبيان أصول الدين على مستوى التراكيب، والأبنية، والقرائن السياقية، ويهدف أيضاً إلى دراسة بلاغة العربية ودورها في تأصيل العقيدة، من خلال: بلاغة التراكيب، بلاغة الصورة ، وأثر المحسنات البديعية، وإظهار العمق المعنوي الدلالي لتلك الجماليات من خلال سورتين من القرآن الكريم(سورة الجمعة، سورة الرعد).

إشكالية البحث:

تأتي هذه الإشكاليةُ من جدلية العلاقة الناشئة بين التراكيب القرآنية والبنية السطحية لهذه الآيات، بمعنى أن كثيرين اعتمدوا على ظاهر القول دون تفسير الآيات، فيأتي البحث إجراءً بسيطاً لرصد ما تضمره التراكيب اللغوية من معانٍ تساعد على إيجاد الجمال والأبعاد الدلالية لأي آية من الآيات، وما تؤديه من دور في بيان أصول الدين والعقيدة.

الدراسات السابقة:

تقوم الدراسات عادة في هذا المجال على ربط النحو العربي بالبلاغة، من خلال ما يسمى علم المعاني، الذي هو جملة القواعد النحوية، التي تحيل على دلالات بلاغية، كالتقديم والتأخير، وغيرها.

ومن تلك الدراسات التي اعتمدها البحثُ:

1ـ بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني: أ.د. توفيق الفيل، مكتبة الآداب، القاهرة، لاط، لاتا، وفيه يرصد الكاتب أهم الظواهر البلاغية المتعلقة بالتراكيب، فيتحدث عن التركيب النحوي اللغوي، وكيف يتحول بفضل البلاغة وبفضل علم المعاني، إلى دلالات ومعانٍ سياقية وجمالية تفهم مما يتعلق بها، ويحاول البحث أن ينهض بهذه التراكيب موظفاً جمالياتها في سبيل الكشفِ عن بلاغتها عندما تأخذ تموضعاتها الخاصة في السياقات المتنوعة.

2ـ بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: أ.د. فاضل السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتاب، بغداد ط1، القاهرة، ط2، 1417هـ/ 2006م، وفي هذه الدراسة يركز الدكتور فاضل على الأثر الجمالي، والدلالي الذي تحدثه الكلمة في إطار وجودها في السياق، وكذلك يكشف الباحث التعبير القرآني، ومدى بث الجمال فيه من خلال بلاغة تلك الكلمة التي تشكل العنصر الرئيس في منح الجمال والدلالة للتركيب.

وهذا ما جعل البحث يأتي ليعزز من وجهة النظر هذه بأمثلة تطبيقية من القرآن الكريم.

3ـ ـ **الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية: أ.د. عطية سليمان أحمد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، 2014م.**وفيها كلام كثير عن دور الاستعارة بوصفها صورة فنيةً، تشع بالدلالات والمعاني، وتخدم النص القرآني وهو النص الذي يسعى إلى الإخبار ، والإفهام، ولاسيما أن البلاغة التصويرية في آيات القرآن الكريم مجال رحبٌ لكثير من التفسيرات والدلالات، وجاء البحث ليؤكد دور الاستعارة القرآنية في إبلاغ الأثر الجمالي، وتحقيق المتعة الدلالية .

منهج البحث:

يعتمد البحث على الاستقراء، والوصف، والتحليل، بالاتكاء على المنهج الوصفي في دراسة الظاهرة، والوقوف على ملامحها، والتأكيد على علاقة اللغة بالجمال، فاللغة تحدث أثرها بما تستطيع من القبض على أي ملامح جمالية، وخاصة في القرآن الكريم،كتاب الفصاحة والبلاغة.

هيكلية البحث:

يتألف البحث من مبحثين رئيسين، الأول بعنوان:(**جمال العربية في بيان أصول الدين سورة الجمعة أنموذجاً)** والذي يتفرع إلى ثلاثة مباحثَ فرعية،هي:

المطلب الأول:الجمال في التراكيب،وتنوع الإسناد ودلالاته.

المطلب الثاني: الجمال في الأبنية والصيغ ودلالاتها.

المطلب الثالث: الجمال في القرائن السياقية ودلالاتها.

في حين يحمل المبحث الثاني عنوان:**(بلاغة العربية وتأصيل العقيدة سورة الرعد أنموذجا)،** ويتوزع الموضوع في ثلاثة مباحث فرعية أيضاً:

المطلب الأول: بلاغة التر اكيب .

المطلب الثاني: بلاغة التصوير.

المطلب الثالث: أثر المحسنات البديعية.

المبحث الأول: جمال العربية في بيان أصول الدين:

سورة الجمعة أنموذجاً

لاشكَّ في أنَّ اللغةَ العربيَّةَ أسمى اللغاتِ وأكثرها تطوُّراً وازدهاراً، وقد مثَّلتْ عنصراً مهماً من عناصر الوجود الإنساني العربي؛ فهي لغة القرآن الكريم، وبها جاء هذا الكتابُ العظيمُ الذي نزل هدايةً للناس، ودستوراً نظَّم حيواتِهم، وأرسى الدَّعائمَ الكليَّةَ لهذه الأمَّة العظيمة التي جعلت من كتاب الله عزَّ وجلَّ النورَ والأساسَ الذي تُبنى عليه المعطياتُ الحياتيَّةُ والوجوديَّةُ.

الدينُ الإسلاميُّ يستعين باللغة لفك شيفرات القضايا الغامضة التي تحتاجُ إلى تعمقٍ وتفكير، وقد أسهمَ القرآن الكريم بلغته، وأساليبه النحوية والبلاغية في خلق حالة من الجمال والتناسق الفني الدلالي الأسلوبي التي مازت القرآن الكريم، وجعلته الكتابَ المعجز، والذي أدى دوراً عظيماً في الحفاظ على اللغة العربية لغةً عظيمةً لها القدرة على البقاء والاستمرارِوبما يضمن لها الخلود، ولاسيما في هذا العصر الحديث الذي يجري بتقنيات وتطورات هائلة على الأصعدة كلِّها.

المطلب الأوَّلُ:الجمال في التراكيب، وتنوع الإسناد ودلالاته:

بيَّن علماء اللغة أن جوهر الحدث اللساني إنما هو في تراكيبه، وعلائقه؛ أي في منظومته التر كيبيةأكثر مما هو في أصواته ومفرداته، فـ(من أهم خاصيات اللغة شكلها المتقن الذي يقوم على المكون التركيبي باعتباره العنصر المركزي في اللغة، ولذلك طغى مفهوم التركيب على النحو، فإن المتكلم يولِّد عدداً لا متناهياً من الجمل، لكنه لا يولِّدُ المفرداتِ)[1]

وهذا يعني أنَّ التراكيبَ على اختلاف تولُّدها والإتيان بها تؤدي دورها في نطاق السياقات التي ترد فيها، وكلُّ تركيبٍ منها له وظيفته، سواء أكانت وظيفةً جماليةً أم لا[2].

والسؤال هنا: كيفَ يمكن لهذه التراكيب أن تحقق الجمالَ من خلال تنوع العلاقات الإسنادية بين مكونات هذه التراكيب؟

إنَّ أيَّ تركيب مهما مهما كانت طبيعته لابدَّ له من إحداث الأثر الظاهر أو المضمر في المتلقي، وفي المجتمع الذي يتمدد فيه، وإنَّ " الخصوصياتِ الأسلوبيةَ أو التركيبيةَ يجب أن ينظر إليها نظرةً واعيةً حتى لا تعزل اللغة عن خواطر النفس، وحركة العقل، وحتى نقول في فهم ووعي إن الخصوصيات الأسلوبيةهي خصوصيات عقلية ، ولغوية، وفكرية، وروحية، وكل ذلك معاً " [3].

ومن ثم فإنَّ التركيبَ في الحقيقةينسحب مفهومه على النشاط الاجتماعي الذي يقيم تجاوراً غير مسبب بين صوتين أو أكثر، لإنشاء وحدات لغوية لها دلالتها ومعناها، وينشأ التركيب من خلال علاقات الإسناد المتشكلة في بنيته أصلاً، فالجملةُ " قول مركب تركيباً إسنادياً"[4]، وهذا القول يعني: أنَّ الجملةَ هي القول المتشكل من مجموعة مفردات ، وهذه الجمل تنشأ فيما بينها علاقاتٌ كثيرة، لعل أبرزها الإسناد.

والناظر في كتاب الله عز وجل يصل إلى أن التراكيبَ الواردةَ في السياقات القرآنية جاءت لخدمة الدين قولاً واحداً، وتؤدي التراكيب دورها في خدمة المراد من خلال الانسجام الدلالي في دلالات الآيات، والإسناد كما هو معلوم " ضم كلمة إلى أخرى على وجه يفيد أنَّ وجه إحداهما وهو المحكوم به ثابت أو منفي عن مفهوم الأخرى، وهو المحكوم عليه"[5].

يقول تعالى: (يسبِّحُ للهِ ما في السماواتِ وما في الأرضِ الملكِ القدُّوسِ العزيزِ الحكيمِ*هو الذي بعثَ في الأميِّينَ رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِه ويزكِّيهم ويعلِّمهم الكتابَ والحكمةَ وإن كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مبين*وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم* ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو فضلٍ عظيم*)[6].

إنَّ السياقَ العامَّ الذي وردت فيه الآياتُ السابقةُ يدلُّ على المعنى المراد الذي تتوخاه تلك الآيات في الحقيقة، والتركيبُ اللغويُّ الذي بدأت به الآياتُ هو تركيبٌ نحويٌّ متماسك يتشكَّل كالآتي :

يسبِّحُ للهِ ما في السماواتِ وما في الأرضِ الملكِ القدُّوسِ العزيزِ الحكيمِ

فعلٌ مضارعٌ(يسبِّحُ)+ الجار والمجرور(للهِ) + الاسم الموصول(ما)+ الجار والمجرور(في السماوات)+ الاسم الموصول(ما)+ الجار والمجرور(في الأرض)+ أربعة أسماء متتابعة دون فاصل(الملك القدوس العزيز الحكيم) .

وفي تحليل الدلالات العامة لهذا التركيب ودوره في خدمة أصول الدين، نقول: بدأت الآيةُ الكريمةُ بالفعل المضارع الذي يدلُّ على الاستمرارية والتجدد، فهو يشير إلى تجدد التسبيح والعبادة، ثم جاء الجار والمجرور ليدلان على التخصيص وبأن التسبيحَ يخصُّ الله تعالى وحدَه دون غيره، وحمل الاسم الموصول(ما) دلالته على غير العاقل ويوحي بالتعميم، لأنه اسم موصول للعموم ، ثم نجد الأسماءَ التي أطلقها الخطابُ على الله عز وجل.

إنَّ التركيبَ العام من الناحيةِ المعنوية يدلُّ عل التجدد والاستمرارية، وبذلك فالآيات من الناحية الدلالية تؤكِّدُ على حدث مهم يرتبط بالدين الإسلامي ألا وهو(التسبيح)،وعند النظر في تفسير الآية :" يخبر الله تعالى أنه يسبح له مافي السماوات وما في الأرض؛ أي من جميع المخلوقات جامدها ومنطوقها، وهو مالك السماوات والأرض المتصرف فيها بحكمه، وهو المنزه عن النقائص، الموصوف بصفات الكمال"[7].

إنَّ التركيبَ الفعليَّ للآية أخبر بالتسبيح، والذي هو بدوره وسيلة تضرع وخضوع من المخلوق للخالق، وتجلى من خلال التركيب أيضاً الحرص الشديد على إيصال فكرة أنَّ المخلوقاتِ كلَّها تسبِّح لله تعالى، وبالتالي فإنَّ فعل التسبيح يعد من الأمور الواجبة في الصلاة والممارسات الدينية التي تجعل الإنسانَ يتقرَّبُ إلى الله تعالى.

وقامت علاقة الإسناد في الآية الكريمة كما في الشكل الآتي:

الجملةُ	المسند	المسند إليه	جماليات التركيب
يسبح لله ما في السماوات	يسبح(فعل)	ما الاسم الموصول	يشير التركيبُ الفعلي إلى تجدد التسبيح وبالتالي استمرار فعل العبادة من المخلوقات كلها لله تعالى، ليحمل ذلك العبرة والموعظة لبني البشر.

وقوله:(يا أيُّها الذينَ آمنوا إذا نوديَ للصلاةِ من يوم الجمعةِ فاسعَوا إلى ذكر الله وذروا البيعَ ذلك خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون* فإذا قُضِيَتِ الصلاةُ فانتشروا في الأرضِ وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلَّكم تفلحون)[8] .

---

1 مقدمة لنظرية المعجم : إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، ط1 ، 1997م،ص69

2 .عمر ياسين طه حسين المالح، مناهج المفسرين في بيان اثر التقسيم على ايضاح النص القرآني ومعناه الدلالي، مجلة جامعة كركوك/ للدراسات الانسانية ، المجلد :16 العدد:2 لسنة 2021، ص174.

3 دلالة التراكيب دراسة بلاغية: د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، مصر، ط2، 1408هـ/ 1987م،ص10.

4ينظر رسالة المباحث المرضية: ابن هشام الأنصاري، تح. مازن المبارك، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1987م، من ص54إلى ص64.

5 ينظرعلم المعاني دراسة وتحليل: د كريمة محمد أبو زيد، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1408هـ / 1988م، ص38

6 سورة الجمعة: 4.1.

7تفسير القرآن العظيم: ابن كثير الدمشقي، دار ابن حزم، بيروت ـ لبنان، ط1، 1420هـ/ 2000م، ص1871.

8 الجمعة : 9. 10 .

من الملاحظ أنَّ الآيتين السابقتين تشيران بوضوح إلى الصلاة، وتدعيان إليها، ولاسيَّما صلاةَ الجمعة،فجاء الخطابُ القرآني هنا بواسطة الإنشاء على وفق تراكيبَ مخصوصةٍ، فبدأتِ الآيةُ بالنداء(يا أيها الذين آمنوا)، ثم كانَ الإخبار الشرطي(إذا نوديَ للصلاة)، وبعدها يأتي الأمر(فاسعوا ـ ذروا)، وبذلك فإنَّ التركيب الإنشائيَّ الذي افتتحت به الآية مكوَّنٌ من (فعل النداء المحذوف أنادي + المنادى أيُّها) وهذا التركيبُ يعبِّرُ عن أصلٍ مهم من أصول الدين وهو الصلاة، والدعوة إلى الصلاة دعوةٌ عامة ، وهذا ما يتجلَّى من خلال اسم السورة (سورة الجمعة).

وفي سبب نزول هذه الآية :" إنَّ يوم الجمعة يوم يجتمع الناسُ فيه، فقال عز وجل: ذروا البيعَ تذكرةً بأمرٍ أعظمَ وهو أنه سيأتي يوم عظيمٌ يجتمع الناسُ فيه وهو يوم المعاد "[9]، وكما نعرف فإنَّ التركيبَ هو " كلٌّ اسمين ضُمَّ أحدُهما إلى الآخر"[10]، وبهذا التعريف المعياري قد لا يكتسب التركيب أي دلالة سوى دلالته القاعدية. ونسأل هنا: ما الأبعادُ الجماليةُ للتركيبِ اللغويِّ في هذه الآية؟ وكيف يخدم أصول الدين؟

التركيب	المسند	المسند إليه	جماليات التركيب
يا أيُّها الذينَ آمنوا إذا نوديَ للصلاةِ من يوم الجمعة	نوديَ (الفعل)	الفاعل المقدّر	الدعوة إلى الالتزام بالصلاة وخاصة صلاة الجمعة ، وبيان أهميتها، فركَّزت بذلك على مبدأ مهم من مبادئ العقيدة.
فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيعَ	الفعل اسعَ	الفاعل واو الجماعة	تدعو الآية من خلال هذا التركيب الفعلي المبني على الأمر إلى السعي إلى ذكر الله، وترك كلّ ما عدا ذلك من أشياءَ ، تعطِّل فعل الصلاة.

وقد جاءت التراكيبُ السابقة جميعها لتؤكِّدَ على جملة من المفاهيم العقائدية، نلخصها بالآتي:

1ـ الدعوةُ إلى الصلاة، وهي العمل الذي يزيّن حياة المؤمن.

2ـ تخصيص يوم الجمعة بفضل عظيم من خلال قرن هذا الحدث بهذا اليوم.

3ـ السعي إلى ذكر الله وعدم الانشغال بما سواه من أمورٍ، وفي هذا تعليمٌ للإنسان المؤمن بضرورة التقيد بالأنظمة والقوانين، وترتيب شؤون الحياة ترتيباً منطقياً.

(إذا نودي للصلاة)، تركيبٌ شرطي مبدوء بالأداة إذا، وهي اسمٌ يوحي ويدل على تحقق ما :ولايفوتنا هنا أن نذكر أن التركيبَ الآتيَ بعده دون شك في ذلك." الأصلُ في إذا أن يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه"[11]،وهذا يعني أنَّ النداءَ للصلاة أمر متحقق لا شك فيه أبداً وبالتالي فإنَّ نتيجة ذلك واجبةٌ ولا يمكن أن تكون احتماليةً أبداً.

وهكذا فالتركيب القرآني كما رأينا يؤدي دوره في خدمة أصول الدين من خلال بلاغته من جهة، ومعناه السياقي من جهة أخرى، بما يحقق الفائدة والقوة للنص القرآني، وتعد دلالات إشارات النصوص في القرآن هي من الدلالات الالتزامية المنطقية كونها متفاوتة في ادراكها وفهمها[12]، ويقرّبُ النصَّ من ذهن المتلقي ويجعله يقبل على الدرس القرآني بشغف وحب، والتركيب الاسمي أو الفعلي على حد سواء يخدمان النصَّ بما يحملانه من دلالاتٍ عميقة تسْتَنْبَطُ من المعاني المتناثرة فيه هنا وهناك، وما من نصّ إلا ويحمل القدرةَ على إبلاغ الدلالة بما يمتاز به من تآلف بين المعاني والألفاظ.

المطلب الثاني: الجمال في الأبنية والصيغ ودلالاتها

كما هو معروف فإنَّ اللغة العربية هي تراكمات من المفردات والجمل، وهذه المفرداتُ تتكون من أبنيةٍ وصيغٍ مختلفة التشكُّل، وكل شكلٍ منها يحمل بعداً دلالياً قادراً على إحداث الأثر في النفس الإنسانية، ومن هنا فإن الصيغَ تسهم في تغيُّر المعنى، " ولا شك أنه لو لم يختلفِ المعنى لم تختلف الصيغة إذ كلُّ عدولٍ من صيغة إلى أخرى لابدَّ أن يصحَبَهُ عدولٌ عن معنى إلى آخرَ إلا إذا كان ذلك لغةً"[13].

يقول تعالى:(قلْ إنَّ الموتَ الذي تفرُّونَ منه فإنَّه ملاقيكم ثمَّ تُردُّونَ إلى عالم الغيبِ والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) [14].

تشير الآيةُ كما يتَّضحُ إلى حقيقة الموت وثباته من خلال أسلوب التوكيد(إنَّ الموتَ...فإنَّه ملاقيكم)، وهذه الجملة الاسمية توحي بالثبات والاستقرار، وما يعنينا هنا هو الصيغة الصرفية التي تحملها الكلمة، ونقف هنا على كلمة(**مُلاقِيكُم**)، وهي اسم فاعلٍ من الفعل فوق الثلاثي (يلاقي)، واسم الفاعل كما يقول النحاة " يدل على الحدثِ والحدوثِ وفاعله"[15] .

وإنَّ صيغةَ اسم الفاعل في سياق الآية الكريمة تحمل دلالةً على الاستمرار؛ فملاقاة الموت للإنسان لا تتوقف أبداً، وهي مستمرة استمرار دوام الحياة، واسم الفاعل هنا أيضاً يدل على الاستقبال والمعنى: سيلاقيكم الموت مهما حاولتم الهربَ منه.

وبذلك فإنَّ صيغةَ اسم الفاعل هنا تحمل الدلالاتِ العميقةَ الجمالية، وتؤدي غرضها في توضيح معنى: حقيقة الموت وعدم النجاة منه مهما حاول المرء إلى ذلك سبيلا.واسم الفاعل ملاقيكم يدل على ثبات واستمرار هذا الفعل الناجم عنه وهو الموت، وهذا يرسّخ أحد الأصول العقائدية المهمة وهو: الإيمان بالموت والقضاء والقدر، وأنَّ الإنسانَ رهينُ إرادة الله تعالى فقط.

---

[9] ينظر: أعلام القرآن: أبو هاشم صالح المغامسي، الشبكة الإسلامية، ج4، ص5.

[10] اللمع في العربية: ابن جني، تح. حامد المؤمن، عالم الكتب، ومكتبة النهضة المصرية، ط2، 1405هـ /1985م، 224.

[11] الإيضاحُ في علوم البلاغة: القزويني، تح، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط3، 2/ 117

12 مشتاق علي الله ويردي، السياق وطرق الدلالة عند الاصوليين والمفسرين، مجلة جامعة كركوك/ للدراسات الانسانية ، المجلد :19 العدد:2، الجزء الثاني، لسنة 2024، ص174.

[13] معاني الأبنية في العربية: د.فاضل السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 1428هـ/ 2007م، ص6.

[14] سورة الجمعة: 8

[15] ينظر التصريح بمضمون التوضيح في النحو: خالد بن عبد الله الأزهري الوقاد ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ،1421هـ/ 2000م،65/2

ومثال ثانٍ قوله تعالى: (وإذا رَأَوا تجارةً أو لهواً انفضُّوا إليها، وتركوكَ قائماً قل ما عند الله خيرٌ من اللهوِ ومن التجارة واللهُ خيرُ الرازقين)[16] (تاجَرَ ــ لها)، وكلٌّ مصدر من هذه :في هذه الآيةِ الكريمةِ نجدُ المصادر الآتية:(تجارة ـ لهو)، وهما مصدران مختلفان لفعلين مختلفين المصادر يحيلُ على معنى مختلفٍ آخرَ، فالمصدر الأول: (تجارة) يدلُّ على الحدثِ المرتبط بالاستمرار، فالتجارة عملية بدأت في الماضي، وما زالت مستمرةً وقد لا تتوقف في المستقبل، وفي السياق القرآني الذي وردت فيه في الآية يشيرُ إلى الابتعاد عن فعلٍ يحثُّ الخطابُ القرآني على فعله وهو الصلاة في الآيات السابقة، وتعدد المصادر له سببان رئيسان " اختلاف لغات العرب، اختلاف المعنى"[17] المصدر الثاني: اللهو، وهو من المصادر التي تحمل الدلالة النقيضة للدعوة، فاللهو مصدرٌ ثلاثي يشيرُ إلى الانغماس في الفعل، (قائماً ـ الرازقين) ، فالأول يشير إلى الثبات والاستمرار :وبالتالي يشير إلى الابتعاد الكلي عن الصلاة. ونجد أيضا اسمي الفاعل كذلك ، والثاني يدلُّ على الرزق المتواصل الذي لا ينقطع كونه مرتبطاً بالله عز وجل فقط دون سواه.

إنَّ جمالياتِ هذه الصيغ الصرفية التي استخدمت في سورة الجمعة من الناحية العقائدية أدت إلى :

1ـ إبراز ضرورة الاستمرار على مواصلة الصلاة، والمواظبة عليها.

2ـ الدعوة إلى الصلاة، وعدم الاستهتار بهذا الركن المهم من أركان الإسلام.

3ـ رفض مطلق لترك الصلاة، وبيانٌ لأحقية المؤمن بالتقرب من الله تعالى، وهل الصلاةُ إلا صلة وصلٍ بين العبد وربه؟.

4ـ عظمة جزاء وثواب مقيم الصلاة، وتأكيد على أهميته كإنسان جدير بنيل رضا الله بسبب طاعته واستجابته لأوامره عز وجل.

المطلب الثالث: الجمالُ في القرائن السياقية ودلالاتها

مما لا شك فيه أنَّ السياقَ القرآنيَّ يمثِّلُ أحد أبرز جوانب البلاغة والفنية في النص الديني؛ فالسياقُ هو القادر على تحديد معنى المفردة في إطار تموضعها في أماكنَ مختلفةٍ من النصّ، والسياق هو " التركيبُ أو السياقُ الذي تردُ فيه الكلمةُ، ويسهم في تحديد المعنى المتصوَّرِ لها "[18]

وكذلك فإنَّ السياق يحمل جملة من القرائن التي تتحرك فيه، منها قرائن لفظية،وقرائن معنوية، وقد أشارَ عدد من النحويين والبلاغيين القدماء والمحدثين إلى أهمية السياق والقرائن ومنهم: الإمام فخر الدين الرازي، الذي قال: " الشرط في رواية المعاني أن يكون الراوي عالماً بما قبل الكلام وبما بعده، وبالقرائن الحالية والمقالية الصادرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ' فإن من المحتمل أنَّ الراوي لما دخل عليه كان قد ذكر كلاماً قبل ذلك تغيَّر حال هذا الكلام بسبب تلك المقدمة"[19].

وقال الزركشي: " ليكن محطَّ نظر المفسّرِ مراعاةَ نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز"[20]. فالسياقُ يؤدي دوره في إبراز المعنى من خلال جملة القرائن التي تحكم نسقه السياقي الذي يأتي فيه.

يقول تعالى: (قلْ يا أيُّها الذينَ هادُوا إنْ زعمتم أنكم أولياءُ اللهِ من دون الناسِ فتمنوا الموتَ إن كنتم صادقين)[21] .في تفسير الآية قال ابن كثير: " إن كنتم تزعمون أنكم على هدى، وأنَّ محمداً وأصحابَه على ضَلالة، فادعوا بالموت على الضال من الفئتين، إن كنتم صادقين فيما تزعمونه" [22].

إنَّ السياق القرآنيَّ هنا هو الذي حدد المعنى من هذه الآيةِ، فلولا أن قام الشاكُّون بالنبي وأصحابه بالزعم أن النبي محمدا وأصحابه على ضلال، وأنهم هم كما يزعمون أصحاب الهدى، لما كان نزل هذا الخطاب بهذه الطريقة، فالسياق هنا يفتح البابَ أمام نقطتين مهمتين جداً، وهما:

1ـ إظهار التحدي الذي يصرُّ عليه أعداء النبي صلى الله عليه وسلم .

2ـ الرد القرآني المناسب على هذا التحدي، وقد جاء ردّاً معلّلاً مفسَّراً، يحمل في تضاعيفه صورة عن العقيدة الجديدة التي تنطلق من أسس ثابتة، تتكئ فيها على الحجة والبيان، وليس رمي الكلام هكذا بلا فائدة.

فجماليات السياق هنا تتأتى من القدرة على إظهار المعنى، وقد جاء مفسَّراً مرتكزاً على أسس ثابتة ، تتحرك في بنية السياق العام للخطاب القرآني الساعي أساساً إلى تمثُّلِ القيم الجمالية التي يكتنزها كل سياق من تلك السياقات.

وعند تحليل الآية السابقة نجد الآتي:

تضم الآية في ثناياها جملةً من القرائن التي تسهم في بث الجمال في التركيب وبنيته، وقد كانت قرينة الرتبة من خلال قوله: إنْ زعمتم أنكم أولياءُ اللهِ من دون الناسِ فتمنوا الموتَ إن كنتم صادقين، **فالرتبة** كانت من خلال حفاظ الجملة على ترتيبها النحوي وخاصة أنها جملة شرطيةٌ بدأت بالحرف الجازم: إنْ ثم تبعه على الترتيب الفعل والجواب، وإنْ تفيد الاحتمال وليس القطع بالشيء وحدوثه، فالذين يزعمون أنهم أولياء الله هم قلة، وإن وجدوا فإنَّ عليهم أن يتمنوا الموت.وقرينة **العلامة الإعرابية** أسهمت في تبيان سياق المفردة الصحيح، أولياءُ مرفوعة بالضم الظاهر للدلالة على موقعها الإعرابي وهو: خبر أنَّ. ومن ثم نجد قرينة **المطابقة** ومثال ذلك: أنكم أولياءُ الله؛ فـ (كاف الخطاب)تلائم ما بعدها وهو أولياء الله، وبذلك تتطابق الكلمة مع ملائمتها. ونجد أيضا **الربط** وهذا متجلٍّ في (الفاء الرابطة لجواب الشرط)، والتي حققت عملية ربط دلالي بين فعل الشرط(السبب) وجواب الشرط(النتيجة).

ومن أهم القرائن المعنوية،قرينة التخصيص، (أولياء الله)، فالتخصيص جاء من خلال إضافة الاسم النكرة إلى لفظ الجلالة، ولولا هذه الإضافةُ لفهم من الكلمة معنى التعميم، وبذلك يخالف المعنى المقصودَ.واللغة " تنزع بطبيعتها إلى عدم اللبس" [23].

---

[16] الجمعة: 11

[17] معاني الأبنية : د. فاضل السامرائي، مصدر سابق، ص17.16.

[18] معجم اللسانيات الحديثة: سامي عياد حنا، كريم زكي حسام الدين، نجيب جريس، ص28

[19] المعالم في أصول الفقه: فخر الدين الرازي، دار عالم المعرفة، القاهرة، 1994م، ص147.

[20] البحر المحيط في أصول الفقه: الزركشي، تح. عبد القادر عبد الله العاني، دار الكتيبي، الكويت، 1994م،317/1.

[21] الجمعة: 6

[22] تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، مصدر سابق، 1872

[23] العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث: محمد حماسة عبد اللطيف، دار الفكر العربي، لاط، لا تا، ص83.

2 البيان في روائع القرآن: د.تمام حسان، عالم الكتب، ط2، 1420هـ ، 159/1.

وهكذا فالقرائن المتعددةُ في الآية الكريمة ساعدت على إزالة اللبس والإبهام في التراكيب، وأزالت الالتباس الحاصل في المعاني، وأدت إلى تحديد المعاني الدقيقة للكلام وتوضيحه، وأوصلت إلى المقاصد اللغوية، فالآية عرَّفتنا بحقيقة المشركين الر افضين لقول الحق، وقد ناقشهم القرآن بحجة، ولكنهم لن يفعلوا ذلك؛ لأنهم كاذبون، وكذلك فالقرائنُ تساعدُ في تحديد الإعراب الصحيح للكلمة في الجملة. وتسهم في الدلالة على أنَّ العناصر اللغوية تشترك في محور واحد من محاور المطابقة والذي يحمل في طياته " دعوة ضمنية بانتهاء كليهما إلى صنف واحد، وارتباط أحدهما بالآخر بواسطة هذه الشركة" [2]

وعندما تقرأ الآيةَ السابقةَ في إطار السياق الذي تموضعت فيه تتبدَّى لك تلك الجماليةُ الفنية التي تجعلُ من الآيةِ تلخيصا مهما لفكرة الصراع بين الحق والباطل، بين النبي صلى الله عليه وسلم وأعدائه الذين يجادلونه في كلِّ شيء مهما كان صغيرا أو كبيراً، وفي متابعتنا للسياق النصي نجد ما يأتي:

1ـ وجود من يدَّعي الهدى دون الناس.

2ـ اتهام الناس بالضلالة.

3ـ التحدي الإلهي من خلال السياق الشرطي الذي ربط السبب بالنتيجة .

وبذلك نفهم المقصد والمطلوب من الآية السابقة؛ لأن تآلفَ هذه القرائن معاً في السياق الذي رأيناه يحقق غايته في تشكيل تفسير عقلي منطقي للأشياء.

المبحث الثاني : بلاغة العربية وتأصيل العقيدة

سورة الرعد أنموذجاً

تتميز اللغة العربية كما نعرف ببلاغتها وقوة المعنى والمفردة فيها، وهي لغة البلاغة الحقيقية، وبوساطة اللغة نتوصل إلى المعاني العميقة التي تكتنزها المفردات، وتبلغها التراكيب.وما كثرة المعاني التي تخرج بها المفردات إلا دليلاً على عظمة هذه اللغة، كيف لا وهي لغة القرآن الكريم، كتاب الله المعجز الذي لا يمكن لبشري أن يأتي بمثله أبدا.

المطلب الأول: بلاغةُ التراكيب

عندما نتحدث عن التركيب اللغوي، وأهميته، فإننا نعني بذلك مجموعة المفردات المترتبة في سياق ينظمها، وقرائنَ تحددها، وروابطَ تجمع فيما بين عناصرها، وبلاغة التركيب تعني: قدرته على إحداثِ الأثر الجمالي، مع خروجه عن معناه الذي هو في الأصل وفق عملية انزياح مرسومة تؤكد عبقرية اللغة، وتجددها دائما.

ومن هنا جاء علم المعاني علماً خاصَّاً بالتركيب وأثره في البناء الجمالي للنص أيّ نص مهما كان، فهو الذي" يراد به بناء الجملة، على نحو يؤدي إلى وفاء المعنى وتمامه طبقاً لما يقتضيه الحال "[24]. وبذلك فعلم المعاني يحدد بلاغة التركيب من خلال سياقاته المختلفة التي يرد فيها، وهذه البلاغة هي معيار قوة وجودة النص عامَّةً، وبها يتحقق الغرضُ المقصود.

ومن موضوعات علم المعاني مثلاً: **التقديم والتأخير**، وهو من أبرز العناوين التي يطالعنا بها هذا العلم الواسع،وهو من " أعظم وجوه إعجاز القرآن الكريم ذلك الكتاب الذي لم تحرف ألفاظه لا بتقديم ولا تأخير، ولا حذف ولا زيادة أو نقصان"[25]

يقول تعالى : (وفي الأرضِ قطعٌ متجاوراتٌ وجنَّاتٌ من أعنابٍ ونخيلٌ صِنوانٌ وغيرُ صِنوان يُسقى بماءٍ واحدٍ ونفضِّلُ بعضَها على بعضٍ في الأكل إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يَعْقِلون)[26]، في قراءة للتقديم والتأخير نجد : تقدَّمت شبهُ الجملةِ(في الأرض) على الاسم النكرة (قطعٌ) وهو المبتدأ، وذلك يعطي التركيبَ جماليةً ملحوظةً، ففي تقديم الخبر هنا على المبتدلأ لفتة بلاغية جميلة، تدل على العناية الفائقة بالمتقدم، وكأنه هو غاية الكلام ومقصده، وبذلك يحتل درجة عالية في الذهن، ويستحق أن يكون المحورَ والأساسَ ، وفي التأخير أيضاً تشويق للمتأخر، يجعلنا ننتظر الشيء بفارغ الصبر حتى يتمَّ النطقُ بها، فتصير معروفةً، وهذا التقديم البلاغي يشير إلى التخصيص وإقامة علاقة قوية بين المفردات.

ومن الآية السابقة يمكن لنا استخلاص أمر مهم متعلق بالعقيدة وهو:

الإيمان المطلق بالله جل جلاله، فهو الخالق القادر على كل شيء، وهو المتحكم بالكون كلِّه، في يديه الأمر يقول :كن فيكون، ولا ردَّ لقضائه وقدره، وكذلك يبين آيات الله العظيمةَ التي لا تحصى، مما يجعل العاقلَ يتفكَّرُ ويعقل عند رؤية هذه الآيات مجتمعةً.

يقول تعالى: (لهم عذابٌ في الحياة الدنيا ولعذابُ الآخرة أشقُّ وما لهم من اللهِ من واقٍ) [27]، نقف هنا على التقديم والتأخير بتقديم شبه الجملة لهم على المبتدأ النكرة عذابٌ لبيان أهمية المتقدم ولتخصيصهم بالعذاب، فهم يستحقون هذا العذاب جزاءً وفاقاً لما اقترفوه، وهذا يؤكد حقيقة عقائدية مهمة: العقاب من جنس العمل.

ومن الموضوعات التي يتناولها علم المعاني: **الحذف والذكر**، " وقد يحذف في التعبير القرآني من الكلمة ... وكل ذلك لغرض وليس اعتباطاً، فالتعبير القرآني تعبير فني مقصود، كل كلمة، بل كل حرف، إنما وضع لقصد "[28].

ومن أمثلة ذلك، قوله تعالى: (أفمن يعلم أنّ ما أُنزِلَ إليك من ربّك الحقُّ، كمن هو أعمى، إنما يتذكر أولو الألباب*الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) [29]، فيمكن هنا في هذه الآية مثلاً أن نحذفَ حرف الجر الباء من كلمة(بعهد الله)، فنقول: يوفون عهد الله، وهذا يدل على الاختصار، والتحديد، ويحمل الحذف ملامحَ عقائدية، تشيرُ إلى ميثاقٍ إلهي يجب الالتزام به، وهو: الإيمان بالحق، التذكر، الوفاء بالعهود، وعدم نقض الميثاق. وحذف الباء هنا يقرّبُ المعنى الدلالي من الذهن، لأنَّ الباء حرف جر يفيد معاني كثيرة، منها الإلصاق.

ومن ظواهر علم المعاني في الآية السابقة، **الاستفهامُ** والذي يأتي بالهمزة للتقرير، فغاية الخطاب القرآني هنا أن يقرَّ المخاطَبُ بهذه الحقيقة التي يعلمها علم اليقين، وهي: حقيقة الإيمان، هذا الإيمان الذي تستوجبه الدعوة الإسلامية.

المطلب الثاني: بلاغة التصوير:

---

[24] بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني: أ.د. توفيق الفيل، مكتبة الآداب، القاهرة، لاط، لاتا، ص7.

[25] دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة تحليلية: د.منير محمود المسيري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1426هـ/ 2004 ، ص147.

[26] الرعد:4

[27] الرعد:34

[28] بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: أ.د. فاضل السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتاب، بغداد ط1، القاهرة، ط2، 1417هـ/ 2006م، ص9

[29] الرعد: 20/19.

يمثل التصويرُ أحدَ أهم جوانب الجمال في أي نصٍّ مهما كانت طبيعته، وقد احتل التصويرُ بأنواعه مكانةً متميزةً عبر عصور النقد العربي منذ القديم، وإلى يومنا هذا،وقد عني القرآنُ الكريمُ بالتصويرِ الفنيّ بوصفهِ أحدَ مكونات الخطاب القرآني، وكونه يرقى بالعقل الإنساني عبر مراحلَ طويلة، والتصويرُ هو :" الأداةُ المفضَّلَةُ في أسلوب القرآن، فهو يعبّرُ بالصورة المتخيلةِ المحسَّةِ عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية " [30].

ويكثر القرآن الكريم من التصوير الفني في سياق الخطاب الموجه إلى العباد، وهذا التصوير في حقيقته تقنياتٌ فنيةٌ جماليةٌ يسعى من ورائها القرآن الكريم إلى توضيح المعنى،وشرح غموض الفكرة، بالاعتماد على عناصرَ عديدةٍ،ومن تقنيات التصوير، وأشكاله في سورة الرعد، **الاستعارة**،والتي هي في أبسط مفهوماتها: " وسيلةٌ لفهم مجالٍ من خلال مجالٍ آخرَ، وهذا الفهم يتطرق إلى كل مجالات الحياة التي يعيشها الناس جميعا، فيستخدمونها في إدراك العالم من حولهم، بكل دقائقه التي يرونهاوالتي لم يروها" [31] نفهم أنَّ الاستعارة إذا هي وسيلة من وسائل فهم الأشياء والموجودات في الطبيعة من حولنا، والاستعارة حسب التعريف البلاغي . لها: تشبيه بليغ حذف منه أحد ركنيه الرئيسين: المشبه، أو المشبه به، فإن حذف المشبه كانت استعارة تصريحية، وإن حذف المشبه به كانت استعارة مكنية.

ومن مظاهر الاستعارة في سورة الرعد: (قلْ منْ ربُّ السماواتِ والأرضِ قلِ اللهُ قلْ أفاتَّخذتمْ من دونه أولياءَ لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً قل هل يستوي الأعمى والبصيرُ أم هل تستوي الظلماتُ والنورُ أمَ جعلوا لله شركاءَ خلقوا كخلقه فتشابه الخلقُ عليهم قل اللهُ خالقُ كلّ شيءٍ وهو الواحد القهار) [32].

في الآية السابقة نقفُ على استعارة في قوله:(الظلمات ، النور)، وهاتان الاستعارتان تدخلان في سياق الاستعارة التصريحية، التي تقومُ على حذف المشبه، مع التصريح بلفظ المشبه به، فالله عز وجل يشبه الهداية بالنور، ويشبه الضلالةَ بالظلمات، وهذا التناقضُ في عناصر الاستعارة يكسبها منحى دلالياً وفنّياً وجمالياً؛ فالاستعارة هنا توضّح الفرقَ الشاسعَ بين المؤمن المهتدي، والضال الذي لا يعرف أين يمضي، وقد أدت الصورة من الناحية الجمالية دورها في التأكيد على أصلٍ مهم من أصولِ العقيدة: الإيمان بالله وحده لا شريكَ له، وهذا الإيمان يترسَّخ في القلب من خلال الصورة السابقة التي تحيلُ على الفكرة المرادة وترسم ملامحها، وكذلك فالاستعارة هنا تؤدي وظيفتها في التقبيح والتنفير من المشبه ،ودليل ذلك اختيار الخطاب هنا لصورة قبيحة هي صورة الضلال، في مقابل صورة حسنة هي صورة الإيمان.وهذا ما يؤكد قول الجاحظ: " فإنما الشعر صناعةٌ، وضرب من النسج، وجنس من التصوير"[33]، وبذلك تتحقق مقولة التصوير الفني في القرآن الكريم، فالقرآن " استخدم طريقة التصوير البيانية المتخيلة للتعبير عن موضوعاته، وجعلها قاعدة التعبير البياني فيه ‘فالإنسان عندما يقرأ الآياتِ يتخيل في نفسه مناظر فنية، وكأنه يرى صورا ومشاهد ولقطات معروضة على شاشة العرض"[34].

وفي آية أخرى (ولو أنَّ قرآناً سُيّرت به الجبالُ أو قطِعت به الأرضُ أو كُلِّمَ به الموتى بل لله الأمر جميعاً) [35]. تنطوي الآية على على استعارة (قرآنا سيّرت به الجبال+قطعت به الأرض+كلّم به الموتى)، وهذه الاستعارةُ مكنيَّةٌ عناصرها كالآتي:

المشبه: القرآن، والمشبه به :(محذوف: المحرّك الذي يحرّك الجبال، الشيء الذي يقطع الأرض، الإنسان الذي يكلم)، لنكون أمام حديث عن القرآن وخصوصيته، ولو كان هناك كتابٌ مثل القرآن يسير الجبال عن أماكنها،وهي الراسيات الثابتة، والحركة فيها شيء عجيب، وهذا ما يمنح الصورةة قوة ودهشةً، ولو هذا الكتاب يقطع الأرض فيؤدي إلى ظهور ما يختفي في باطنها، وهذا شيء غير عادي، ولو كان يحيي الموتى ويحدّثهم ، فهذا أمر عجيب أيضاً.فجاءت الصورة الاستعارية هنا لتدلَّ على إعجاز القرآن وعظمته، وأنَّ فيه خوارقَ لا تعدُّ ولا تحصى، " لو كان في الكتب الماضيةِ كتاب تسير به الجبالُ عن أماكنها، أو تقطع به الأرض وتنشق، أو تكلم بها الموتى في قبورها، لكان القرآن هو المتصف بذلك دون غيره "[36]

وقد أدَّت الاستعارة المكنية إذا دورها في التعبير عن أصلٍ مهم من أصول العقيدة الإسلامية، وهو : إظهار إعجاز القرآن الكريم، وبيان أهميته، بوصفه الكتابَ الأكملَ الأشملَ، والذي يضم أيضاً مجمل العقائدِ والأصول، لذا كانت الإشارةُ إليها ضروريةً في سياق إظهار الإعجاز القرآني.

ومن مظاهر التصوير الفني: **التشبيه**، وهو" الدلالةُ على مشاركة أمرٍ لآخرَ في معنى، والمراد بالتشبيه ها هنا: مالم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية، ولا الاستعارة بالكناية، ولا التجريد "[37].فالتشبيه كما هو واضح اشتراك العنصرين (المشبه والمشبه به) بصفة واحدة أو بشيء واحد.

ومن أمثلة ذلك في سورة الرعد، قوله تعالى:(له دعوةُ الحقّ والذينَ يدعونَ من دونهِ لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفَّيه إلى الماء ليبلُغَ فاهُ وما هو ببالغه وما دعاءُ الكافرين إلا في ضلال)[38] . ورد في تفسير الآية" إن الله هو الحق، فدعاؤه دعوة الحق، وضل من

---

[30] التصويرُ الفني في القرآن: سيد قطب، دار الشروق، بيروت/ القاهرة، لاط، لاتا، ص36

[31] الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية: أ.د. عطية سليمان أحمد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، 2014م، ص13

[12] الرعد: 16

[33] الحيوان : الجاحظ ، تح. عبد السلام هارون، دار الفكر العربي، بيروت، 1388هـ / 1969م، 132/3

[34] إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني: صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، عمان، ط1، 2000م، 338.

[35] الرعد: 31.

[36] تفسير ابن كثير: مصدر سابق،461/4

[37] الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني، مصدر سابق، ص164.

38 الرعد: 14

تدعون دون الله يعني الأصنام والأوثان الذين لا يستجيبون لهم دعاء، ولا يسمعون لهم نداء، والذي يدعو إلها من دون الله كالظمآن الذي يدعو الماء إلى فيه من بعيد يريد تناوله ....." [39]

إنَّ التشبيهَ يقع في قوله:(له دعوةُ الحقِّ والذينَ يدعونَ من دونهِ لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفَّيه إلى الماء ليبلُغَ فاهُ)، وهو تشبيه يتشكل على الشكل الآتي:

المشبه: من يدعو دون الله/ المشبه به: باسط الكافين/ الأداة: الكاف.

وقد رسم التشبيه صورةَ الضال الذي يعبد غير الله، إذ إن دعاءه وعبادته لا قيمة لها؛ وكأنه إنسان يبسط كفيه داعياً وقد بدا له سراباً، ولن يتمكن من بلوغه أبداً، وهنا تظهر استحالة تلبية الله لدعائه، ليتأكد لنا أن الدعاءَ الحقَّ هو دعاء المؤمن المطيع لربّه، والمستغفر حق الاستغفار، والتشبيه من الناحية الجمالية يغني المعنى بدلالات واسعة، كأن يفهم المخاطَب القارئ للقرآن أنَّه لا فائدة من أي دعاء إن لم يكن دعاءً لله عز وجلَّ فقط دون سواه.

ومن المظاهر التصويرية في السورة، **المجاز العقلي**، وهو: "ماكان متعلقاً بالإسناد بين المسند والمسند إليه، وهذا النوع يخرج إلى خمسة أنواع" [40].

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:(مثل الجنة التي وُعِدَ المتقونَ تجري من تحتها الأنهارُ أُكُلُها دائمٌ وظلُّها تلك عقبى الذين اتَّقوا وعقبى الكافرين النارُ) [41] . يقع المجاز في قوله: (تجري من تحتها الأنهار)؛ فالأنهارُ في الحقيقة لا تجري؛ فإسنادُ الجريان إلى الأنهار هو بيّنٌ في المجاز، بل هي أوعية الماء، والذي يجري في الحقيقة هو الماءُ الذي في الأنهار، فنسبة الجري إلى الأنهار، هو نسبة الفعل إلى المحلِّ، إذ تمت هنا عملية نقل فعل الجريان من المكنون إلى المكان الذي يجريي فيه، من باب التجوز والمبالغة، وهذا نسميه(مجاز عقلي علاقته الإسناد في النسبة غير الإسنادية).

وهنا نلمح ملمحاً من ملامح العقيدة الإسلامية، وقد أسهم المجاز العقلي هنا في توضيحه وبيانه، وهذا الملمح هو: جزاء المؤمنين وإثابتهم على أعمالهم.

المطلب الثالث: أثر المحسنات البديعية:

إنَّ المحسّناتِ البديعيَّةَ من أهم العناصر الجماليَّةِ التي تضفي على أي نص بعداً دلالياً وجمالاً كبيراً، من خلال قدرته على تشكيل أثر يبقى على مرّ الزمن،والبديع هو " خلاصة علمي المعاني والبيان، ومصاص سكّرهما، هو صفو الصفو، وخلاص الخلاص"[42] والمحسنات البديعية، نوعان:" محسنات لفظية يكون التحسين فيها راجعاً إلى اللفظ، (الجناس، الترصيع، حسن التقسيم) ومحسنات معنوية يكون التحسين فيها راجعاً إلى المعنى أولا وبالذات(الطباق ـ التورية ـ الالتفات)" [43] ، وهذه المحسناتُ جميعها تخلق للنص الذي تتموضع فيه قدرة فائقة على رسم الأبعاد العامة للمعنى.

ومن ذلك قوله تعالى: (لهم عذابٌ في الحياة الدنيا ولعذابُ الآخرةِ أشقُّ وما لهم من الله من واقٍ). فهنا نجد المفارقة المتشكلة في سياق الآية بين (الحياة الدنيا ، الآخرة)، وهذا التناقض الحاد بين الحياتين(الدنيا والآخرة) يحيل على عذاب الكافرين واصطلائهم نارا لا ترحم أبداً،وقد أكَّد الطباق هنا على الصراع الذي يعانيه الكافرون، وعاد الخطاب القرآني ليرسم هذه الصورةَ المأساويةَ للكافرين، وهنا يؤكِّدُ أصلاً ثابتاً من أصول العقيدة: الإيمان بالله تعالى، ومخالفة الشيطان، ومن يعصِ اللهَ فله العذابُ الأليم الذي يستحقه؛ بسبب كفره وطغيانه.

فنلاحظ كيف تناقض الحالُ , فحقَّ العقابُ ، والتضاد الحاصل بين الحياة الدنيا والآخرة طبيعي، وذلك أنَّ العقابَ لا يأتي إلا بعد إنذارٍ ووعيد، ومن هنا فإنَّ فهم الطباقَ يحيلُ إلى معانٍ متعددة للمفردة، ووجود العبارة أو الكلمة في سياقاتها النحويَّة هو الذي يسهم في عملية فهم المعنى، وتوضيح أبعاده الدلالية ، ولولا هذا التموضعُ السياقيُّ لما حصلنا على هذه التراتبية التي مازت اللغة العربية، وجعلتها من أغنى اللغاتِ وأكثرها شموليَّةً.

ومن الظواهر البديعية التي نلمحها في سورة الرعد، الالتفات: وهو الانتقالُ في التعبير الكلامي من أسلوبٍ إلى آخرَ، أو من طريقة إلى طريقة، وهذا الانتقال يكون من طرق الكلام الثلاثة: التكلم، الخطاب، والغيبة.

2ـالجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): أبو عبد الله القرطبي، تح: احمد البردوني و إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ / 1964م، 9/ 263

1. ينظر البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1416هـ / 1996م، 222/2

2. الرعد: 35.

1ـ كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي، مطبعة المقتطف، مصر، 1914م، 347/3.

2ـ علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع: أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط3، 1414هـ / 1993م،ص319

وللتمثيل على هذه الظاهرة في القرآن الكريم،وخاصة سورة الرعد نجد قوله تعالى: (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرِّيَّةً وما كان لرسولٍ أن يأتيَ بآيةٍ إلا بإذن الله لكلّ أجل كتاب) 44. إن الالتفاتَ يقع بين ضميرين (جعلنا لهم)، بين (نا الجماعة) و(هاء الغائب)، بين الذاتية، وبين الآخر، فهذا الالتفاتُ يؤدي إلى فهم المعنى المراد من الآية، ويوصل أصلاً من أصول العقيدة وهو الإيمان بالرسل والملائكة، وهذا ركن رئيسٌ من أركان التأصيل الإسلاميّ.

وقد حقق الالتفاتُ الإيجازَ في الكلام، من خلال الانتقال من أسلوب المتكلم إلى أسلوب الغائب، وحقق الجمالية الفنية في تقديم المعنى بطريقة مختصرة يسيرة، وكأنه " كلام كلما زدته فكرا زادك معنى، وتفسيره قريب، قريب كالروح في جسمها البشري، ولكنه بعيد بعيد كالروح في سرها الإلهي"45.

وهكذا فإنَّ المحسنات البديعيةَ تركت أثراً جمالياً ملحوظاً في التركيب الذي ترد فيه، فالطباق يحقق التوضيحَ المعنويَّ، ويبرز التناقضَ الحادَّ بين الأشياء، وكذلك التورية فهي تخلق الاختصار وتحقق الدلالة الإشارية البسيطة، فالكلام له معنى واضح من خلال هذه المحسنات التي تبرزُ المعاني، وتشكِّل حلقة دلاليةً واسعةً.

خاتمة البحث:

مما سبق ، وبعد الوقوف على جمال العربية ودوره في بيان أصول الدين، وبلاغة العربية وتأصيل العقيدة، نصل إلى الآتي:

ـ اللغة العربية لغة الإبداع والجمال، والقرآن الكريم هو الكتابُ الذي يضم أضرب الجمال اللغوي على المستويات كلِّها.

ـ التراكيب القرآنية تراكيبٌ تمتلئ بالقوة والرصانة والتعبير، فهي ترصد المعاني المختلفة، وتستنطق الدلالات المتعددة.

ـ تسهم الأبنية والصيغ الصرفية في إعطاء التركيب القرآني رونقه، وجماله، بما تمتلكه من قدرة على الحركة في التراكيب اللغوية.

ـ للسياق الدور المهم في عملية إبراز المعاني، وتحديد الدلالات، لأن المفرداتِ والتراكيبَ تتموضع في سياقاتٍ كثيرة، مما يمنحها القوة والجمال.

ـ التراكيب القرآنية لعبت دورها في تحقيق الرفد الجمالي لأصول العقيدة الإسلامية.

ـ البلاغة العربية أرخت ظلالها على النص القرآني، وحققت الصورة الفنية والمحسنات البديعية، إضافة إلى الظواهر المعنوية ، حققت جمالية ومتعة للنص من خلال السياقات المختلفة التي يرد فيها .

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

ـ الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية: أ.د. عطية سليمان أحمد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، 2014م.

ـ إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني: صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، عمان، ط1، 2000م.

ـ الإيضاحُ في علوم البلاغة: القزويني، تح، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط3

ـ البحر المحيط في أصول الفقه: الزركشي، تح. عبد القادر عبد الله العاني، دار الكتيبي، الكويت.

ـ بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني: أ.د. توفيق الفيل، مكتبة الآداب، القاهرة، لاط، لاتا.

ـ البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1416هـ / 1996م.

ـ بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: أ.د. فاضل السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتاب، بغداد ط1، القاهرة، ط2، 1417هـ/ 2006م

ـ البيان في روائع القرآن: د.تمام حسان، عالم الكتب، ط2، 1420هـ .

ـ التصريح بمضمون التوضيح في النحو: خالد بن عبد الله الأزهري الوقاد ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ،1421هـ/ 2000م

ـ التصويرُ الفني في القرآن: سيد قطب، دار الشروق، بيروت/ القاهرة، لاط، لاتا.

ـ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير الدمشقي، دار ابن حزم، بيروت ـ لبنان، ط1، 1420هـ/ 2000م.

ـ الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): أبو عبد الله القرطبي، تح: احمد البردوني و إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ / 1964م.

ـ الحيوان : الجاحظ ، تح. عبد السلام هارون، دار الفكر العربي، بيروت، 1388هـ / 1969م.

. دلالة التراكيب دراسة بلاغية: د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، مصر، ط2، 1408هـ/ 1987م.

ـ دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة تحليلية: د.منير محمود المسيري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1426هـ/ 2004.

ـ رسالة المباحث المرضية: ابن هشام الأنصاري، تح. مازن المبارك، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1987م.

ـ السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية: أ. مصطفى صادق الرافعي، تح. أبي عبد الرحمن البجيري، دار البشير للثقافة والعلوم، لاط، لا تا.

ـ العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث: محمد حماسة عبد اللطيف، دار الفكر العربي، لاط، لا تا.

ـ علم المعاني دراسة وتحليل: د كريمة محمد أبو زيد، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1408هـ / 1988م.

ـ علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع: أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط3، 1414هـ / 1993م.

- السياق وطرق الدلالة عند الاصوليين والمفسرين، مشتاق علي الله ويردي، مجلة جامعة كركوك/ للدراسات الانسانية ، المجلد 19: العدد:2، الجزء الثاني، لسنة 2024.

ـ كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي، مطبعة المقتطف، مصر، 1914م.

ـ اللمع في العربية: ابن جني، تح. حامد المؤمن، عالم الكتب، ومكتبة النهضة المصرية، ط2، 1405هـ /1985م.

ـ المعالم في أصول الفقه: فخر الدين الرازي، دار عالم المعرفة، القاهرة، 1994م.

ـ معاني الأبنية في العربية: د.فاضل السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 1428هـ/ 2007م.

ـ معجم اللسانيات الحديثة: سامي عياد حنا، كريم زكي حسام الدين، نجيب جريس .

ـ مقدمة لنظرية المعجم : إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، ط1 ، 1997م

[44] الرعد: 38

[45] السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية: أ. مصطفى صادق الرافعي، تح. أبي عبد الرحمن البجيري، دار البشير للثقافة والعلوم، لاط، لا تا، ص27.

. مناهج المفسرين في بيان اثر التقسيم على ايضاح النص القرآني ومعناه الدلالي، عمر ياسين طه حسين المالح ، مجلة جامعة كركوك/ للدراسـات الانسانية ، المجـلد :16 العدد:2 لسنة 2021.